علاقة العرب ببلاد البجة وأثرها الحضاري في صدر الإسلام

أ.د. نصر الدين جار النبي سليمان

المستخلص

نأتي أهمية البحث في أنه يطرق باب أهم علاقة بين شعبين متجاورين الا وهما العرب والبجة وذلك من قديم الزمان وحتى صدر الإسلام، ويهدف البحث إلى إبراز المعابر التي سلكها العرب في أثناء هجرتهم، إضافة إلى المعاهدات التي أبرمت بين العرب والبجة حيث نتج عنها هجرات عربية في نطاق واسع صوب بلاد البجة، كما يهدف إلى تناول حملة العمري وكيفية وصوله إلى بلاد البجة. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها أن القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد البجة كان لها دور حضاري واضح في أوساط المجتمع البجاوي كذلك أن هذه القبائل أثرت وتأثرت بالمجتمع ونتج من ذلك عنصراً بشرياً مشبعاً بالثقافتين يقطن بلاد البجة ومنصهراً في مجتمعها.

ABSTRACT

The importance of the research comes in that it touches on the field of the most important relationship between two neighboring peoples, that they are Arabs and Beja, from ancient times until the beginning of Islam. A wide range towards Beja, and the Omari campaign can also benefit from its arrival in Beja. The study reached several results, the most important of which is that the Arab tribes that migrated to the Land of Beja had a clear civilized role in the community of Beja, as well as that these tribes influenced and were affected by society, and as a result a human beings saturated with the intelligentsia residing in the Beja country and fused into society.

مقدمة:

جغرافية بلاد البجة:

استوطن البجة شرق السودان في الأرض من أسوان جنوباً إلى الأطراف الشمالية لهضبة الحبشة ومن البحر الأحمر في الشرق إلى النيل ونهر أتبرا في الغرب⁽¹⁾. والإدريسي يقول عن بلاد البجة: ((إنها تجاور أرض الحبشة من جهة الشمال، وهي بين الحبشة والنوبة وأرض الصعيد))⁽²⁾.

تختلف مظاهر التضاريس في بلاد البجة من مكان لآخر، حيث تتخللها سلاسل جبلية ممتدة من الجنوب إلى الشمال موازية وملاصقة أحياناً للبحر الأحمر، ولا تترك بينها وبين البحر سوى شريط ساحلي ضيق على طول امتدادها، هذا الشريط الساحلي يضيق كلما اتجه جنوباً، أي أنه في الأجزاء المتصلة بمصر أوسع من الأجزاء الجنوبية، وتتباين ارتفاعات هذه الجبال من منطقة إلى أخرى، وقد تتخلل هذه السلاسل الجبلية بعض الوديان الخصبة، مثل وادي العلاقي في الشمال، وخور بركة في الجنوب، فضلاً عن بعض الوديان الأخرى المتناثرة على طول الصحراء⁽³⁾.

واختلاف التضاريس من أكبر العوامل التي أثرت في حياة البجة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فإنهم أهل بادية غير مستقرين، تنتشر بينهم روح القبالية ويعتمدون في حياتهم على الرعي، والبجة شعب ذو نزعة حربية، فهم لا يقلون عن سكان المنطقة النيلية في المهارة الحربية ويتسابقون بالخيال ويقاتلون عليها، كما أنهم يجيدون القتال على الإبل التي يدرّبونها على فن القتال وكانوا بارعين في استخدام الحراب وكانوا يستخدمون نوعاً من الحراب تسمى السباعية⁽⁴⁾.

أما عن نسبهم فقد اعتبرهم بعض مؤرخي العصور الوسطى جزءاً من النوبة أو فرع آخر من النوبيين⁽⁵⁾، لكن البجة بحكم بيئتهم وانقطاعهم عن طرق المهاجرة أصفى بشرة من النوبة⁽⁶⁾، على حين أن بقية البجة من الهدندوة وبنو عامر والأمراء والبشاريين، تسربت إليهم دماء عربية، نتيجة التزاوج والاختلاط بالعناصر العربية التي دخلت بلادهم من الشمال عن طريق مصر، مما كان له أثر واضح في تعديل صفاتهم الجسمانية، مع تمسكهم بعباداتهم وتقاليدهم ولغتهم التبتداوية، وتقع في أوطان البجة أهم الموانئ الإفريقية على البحر الأحمر مثل عيذاب وسواكن ودهلك وباضع. كما تقع في أوطانهم معظم المعادن أيضاً⁽⁷⁾.

علاقة العرب ببلاد البجة قبل الاسلام :

تعتبر شبة الجزيرة العربية أقرب الأماكن لبلاد البجة لذلك هاجرت إليها قبائل عربية كثيرة من أقدم العصور حيث وصلت بعض الهجرات العربية إلى منطقة شرق إفريقيا وادي النيل وشمال إفريقيا، فقد بلغت هجرات العرب مداها في تلك المناطق في عهد مملكتي معين وسبأ قبل الميلاد بسبعة قرون، وكذلك نشطت حركة التجارة بين العرب وشرق إفريقيا وتوالت هجراتهم في عهد الدولة الحميرية نحو بلاد البجة وماجاورها⁽⁸⁾.

ولقد سلكت القبائل العربية في طريقها إلى بلاد البجة عدة معابر ومن أبرزها معبر البحر الأحمر والذي لم يكن عائقاً أمام الاتصال بين الجزيرة العربية وبلاد البجة، ومن هنا كان للبحر الأحمر دور مهم في الربط بين قارتي آسيا وإفريقيا ذلك لأنه لم يكن منطقة عازلة بين القارتين، بل كان دائماً حلقة وصل قوية منذ وجود الإنسان على ظهر الأرض، وكان إقليم الحجاز على صلة قوية بالشاطئ الإفريقي الغربي والذي يضم في طياته بلاد البجة⁽⁹⁾. أما المعبر الثاني لبلاد البجة فهو باب المنذب لقد كان هذا المعبر يمثل مصدر تيار هجرة بشرية منذ أقدم العصور حيث انتشر سكان الجزء الجنوب الغربي لجزيرة العرب على السواحل الشرقية لإفريقيا بما فيها بلاد البجة وكونوا مراكز تجارية في مناطق متفرقة نتيجة لذلك تكونت مراكز حضارية عربية ظلت لفترة طويلة على صلة بالوطن الأم وبمرور الزمن اختلط العرب بالوطنيين الأصليين، وتشير بعض الروايات إلى قيام الحميريين بحملات عسكرية في وادي النيل الأوسط وشمال إفريقيا وأن هذه الحملات تركت جماعات عربية استقرت في بلاد النوبة وأراضي البجة وشمال إفريقيا⁽¹⁰⁾.

أما المعبر الثالث فهو برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء، فقد كان هذا الطريق معبراً أساسياً يربط قارة آسيا بإفريقيا في جميع العصور والأزمنة الطويلة، بل هو من أهم المعابر التي عبرتها الهجرات العربية إلى إفريقيا وصولاً إلى مصر وشرق السودان ومنها إلى بقية أجزاء القارة الإفريقية، لذلك لعب هذا المعبر الدور العظيم في هجرات القبائل العربية الساكنة شمال جزيرة العرب إذ يعتبر المعبر البري الوحيد الذي يربط بين شطري الوطن العربي في آسيا وإفريقيا ومن هذا المعبر عبرت القبائل العربية مصر وسودان وادي النيل بما فيه بلاد البجة⁽¹¹⁾.

خلاصة القول أن العلاقة بين العرب وبلاد البجة علاقة متجذرة وموغلة في القدم وسابقة للإسلام بأزمان بعيدة، هذه العلاقة كانت وما زالت متميزة لعدة أسباب أهمها القرب الجغرافي وسهولة الحركة بواسطة البحر الأحمر والذي يمثل حلقة الوصل بين العرب وبلاد البجة.

بداية علاقة العرب ببلاد البجة في العصر الإسلامي :

إن تاريخ البجة في بداية العصر الإسلامي وخاصة منذ الفتح العربي لمصر يكتنفه الغموض، فأول إشارة وردت عند الواقدي الذي يذكر أنه لما حاصر عمرو بن العاص مدينة بلبيس، وكانت بها أرمانوسة ابنة المقوقس، الحاكم البيزنطي في مصر أشار ذو الرأي في مصر وقتذاك على المقوقس أن يرسل نجدة بيزنطية إلى مدينة بلبيس لإنقاذ ابنته، ثم يطلب مساعدة ملك البجة وملك النوبة وملك البربر لحرب العرب وطردهم من مصر⁽¹²⁾.

ويبدو عدم أهتمام العرب الفاتحين بقبائل البجة في بادئ الأمر ناتج عدم ورود نص عنها في عهد الصلح الذي عقده عبدالله بن سعد مع النوبة (31هـ / 652م) وربما كان مرجع ذلك ما ذكره ابن عبدالحكم إذ قال: ((فتجمع له من انصرافه على شاطئ النيل البجة، فسأل عنهم فأخبر بمكانهم فهان عليه أمرهم فنفض وتركهم، ولم يكن لهم عقد ولا صلح، وأول من صالحهم عبدالله بن الحباب))⁽¹³⁾، وربما استقر في نفوس العرب، في المرحلة الأولى من مراحل التوسع الإسلامي، من أن ديار البجة ليست بدار حرب⁽¹⁴⁾، شأنها في ذلك شأن بلاد الحبشة المتاخمة لبلادهم من المسلمين الذين هاجروا إليها زمن الرسول صلى الله عليه وسلم⁽¹⁵⁾.

لم يكثرث العرب في بادئ أمرهم بأمر البجة لكن لم يكن هذا الأمر في مصلحة العرب فبعد فترة من الزمن لم تتجاوز ثلاثة وسبعين عاماً وجد البجة أنفسهم من الكفاءة، ما دفعهم إلى القيام بغارة علي مصر (107هـ / 725م) وعندئذ تنبه العرب في مصر إلى خطورتهم، فأرسلوا حملة بقيادة عبدالله بن الحباب الذي عقد معهم أول معاهدة ظلت قائمة زهاء قرن من الزمان وقد نصت هذه المعاهدة، علي أن تدفع البجة للعرب ثلاثمائة من الإبل البكر كل عام، وإذا ما نزلوا ريف مصر، أن ينزلوا تجاراً مقيمين، وألا يقتلوا مسلماً ولا ذمياً عن نزل بلادهم، وألا يأووا عبيد المسلمين، وأن يردوا من يقع في أيديهم من هؤلاء العبيد، وعلي أن يبقي وكيلهم بريف مصر رهينة في أيدي المسلمين⁽¹⁶⁾.

غير أنه لم يكد يمضي قرن علي هذه المعاهدة حتى عاد البجة إلى شن الغارات من جديد علي أسوان وكثير ايداؤهم للمسلمين فرفع ولاة الأمر في أسوان خبرهم إلى المأمون العباسي، فجرد عليهم حملة بقيادة عبدالله بن الجهم، الذي عقد مع كبيرهم كنون بن عبدالعزيز معاهدة تختلف كثيراً في نصوصها عن معاهدة البقط التي عقدت مع النوبة⁽¹⁷⁾.

أكدت معاهدة ابن الجهم مع كنون بن عبدالعزيز ضعف البجة بدليل

أنها تضمنت شروطاً قاسية بالنسبة للبيعة من أهمها :

أولاً : أن تكون بلاد البيعة من حد أسوان إلى حد ما بين دهلك (مصوع) وباضع (جزيرة الريح) ملكاً للخليفة، وأن يكون بن عبدالعزيز، وأهل بلده عبيداً لأمر المؤمنين على أن يبقى كون ملكاً عليهم⁽¹⁸⁾.

ثانياً : أن يؤدي ملك البيعة الخراج كل عام مائة من الأبل أو ثلاثمائة دينار لبيت المال.

ثالثاً : أن يحترم البيعة الإسلام ولا يذكره بسوء، وألا يقتلوا مسلماً أو ذمياً حراً أو عبداً في أرض البيعة أو في مصر أو النوبة وألا يعينوا أحداً على المسلمين .

رابعاً : إذا دخل أحد المسلمين في بلادهم للتجارة أو الإقامة أو مجتازاً للحج، فهو آمن لآخر حد لهم.

خامساً : إذا دخل البيعة صعيد مصر مجتازين أو تجاراً لا يظهرون سلاحاً ولا يدخلون المدائن والقرى.

سادساً : ألا يهدموا شيئاً من المساجد التي أبتناها المسلمون.

سابعاً : وعلى كون بن عبدالعزيز أن يدخل عمال أمير المؤمنين بلاد البيعة لقبض صدقات من أسلم من البيعة⁽¹⁹⁾.

ويتضح مما سبق ذكره أن بلاد البيعة أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الدولة الإسلامية وتطبق عليها شروط البلاد التي تفتح عنوة، بدليل فرض الخراج، ثم أن شرط عدم التعرض للمسلمين بأذى سواء في بلاد البيعة أو النوبة، فضلاً عن شرط حفظ المساجد القائمة في بلاد البيعة وجمع الصدقات عن من أسلم وهذا دليل على أن الإسلام انتشر في تلك البلاد.

هذه المعاهدة لم تضع حداً للفتن في بلاد البيعة فامتنعوا عن دفع الخراج كما جاء في بعض المعاهدة وقاموا بثورة عارمة، وقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين العاملين بأرض المعدن ولم يكتفوا بذلك، بل أغاروا على صعيد مصر فأعد عبسة بن اسحاق والي مصر من قبل الخليفة العباسي المتوكل حملة بقيادة محمد بن عبدالله القمي عام (241 هـ / 854 م) وسار إليهم في سبعة آلاف مقاتل، وهناك في أرض المعدن انضم إليهم العرب من ربيعة ومضر وغيرهم، كما وافته المراكب بالمؤن عن طريق البحر الأحمر ومن ثم تقدم محمد بن عبدالله صوب بلاد البيعة ويشير ابن تغري بردي إلى مدى الاستعدادات العسكرية لدى الطرفين فيقول : ((وحل محمد من مدينة قوص مقتحماً تلك البراري الموحشة، وقد تكامل معه من العسكر سبعة آلاف مقاتل

غير الاتباع، وسار حتى تعدى حقائق الزمرد وأوغل في بلاد القوم حتى قارب مدينة دنقلة، وشاع خبر قدومه إلى أقصى بلاد السودان، فنهض ملكهم، وكان يقال له علي بابا إلى محاربة العسكر الواصل مع محمد المذكور، ومعه من تلك الطوائف أمم لا تحصى، غير أنهم عراة بغير ثياب، وأكثر سلاحهم الحراب والمزاريق ((⁽²⁰⁾).

أما القوة العربية الزاحفة على أرض البجة والتي تسلحت بكل فنون الحرب من استخدام الفرسان والعديد من آلات الحرب، حاول خلالها ملك البجة أن يستخدم الخديعة بدلاً من الهجوم المباشر وفي ذلك يشير ابن تغري إلى أسلوب المراوغة من قبل البجة يقول: ((فعندما قاربوا العساكر الإسلامية وشاهدوا ما هم عليه من التجميل والخيول والعدد، وآلات الحرب، ولم يقدرُوا على محاربتهم، عزموا علي مطاولتهم حتى تفنى أزوادهم وتضعف خيولهم ويتمكنوا منهم كيفما أرادوا...)).

فلما نظر محمد إلى السودان التي أقبلت عليه، انتزع جميع ما كان في قارب جمال عساكره من الأجراس فعلقها في أعناق خيوله، وأمر أصحابه بتحريك الطبول ونفخ الأبواق ساعة الحملة⁽²¹⁾ فلما سمعت إبل البجة أصوات هذه الأجراس، فرت أمام المسلمين، فانهزم البجة، وطلب ملكهم الصلح فقبل محمد بن عبدالله ذلك بشرط أن يطاء هذا الملك بسلط الخليفة العباسي في سامراء، وتم له ما أراد، فقد أرسل الملك البجاوي ابنه نائباً عنه، كما قرر محمد بن عبدالله عليه الخراج الآجل مع العاجل، وأن يعمل المسلمون بالمعادن كما كان من قبل⁽²²⁾.

وفي ظل هذا الحراك المستمر بين العرب والبجة استغلّت بعض القبائل العربية هذا الظرف فطاب لها المقام في أرض البجة واستقرت واختلطت بالوطنيّين وتصارّحت معهم وبالتالى قامت بنشر حضارتها في بلاد البجة ومن أبرز مظاهرها الإسلام والثقافة العربية .

حملة العمري علي بلاد البجة وأثرها الحضاري:

يعتبر العمري من أشهر الشخصيات في الدولة الطولونية من العرب وهو حفيد الخليفة عمر بن الخطاب واسمه أبو عبدالرحمن (عبدالله بن عبدالحميد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب) وكانت حياة العمري حافلة بالأحداث منذ قدومه إلى صعيد مصر وأراضي النوبة والبجة. ولد في المدينة وأخذ العلم من رجالها بالإضافة إلى تفقهه في علوم الدين، فقد كان ذا معرفة بالنجوم والفلسفة، كما أنه خرج من المدينة في أسفار له حتى وصل القيروان واتصل بإبراهيم بن الأغلب ومدحه فوصله إبراهيم بألف دينار ومن

هناك ذهب إلى مصر في فترة حكم أحمد بن طولون⁽²³⁾. أعلن أحمد بن طولون عن إعداد حملة حربية إلى بلاد النوبة وأرض البجة بقيادة العمري فاشترك فيها كثير من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة وبهذا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل انتشار الثقافة الإسلامية إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية فجاءت الفرصة سانحة للعمري عندما قام البجة بهجوم مفاجئ علي أهالي الصعيد حتي مدينة قوص وهم يؤدون صلاة العيد حيث كانت تلك الغارة المفاجئة بقيادة رجل بجاوي أعور وانزلوا بالمسلمين والمصلين مقتلاً فظيماً تسبب في حسائر فادحة حيث نهبوا كل ما استطاعوا نهبه من الأملاك والمتاع ثم عادوا أدراجهم إلى بلادهم من حيث قدموا، ومن هنا فقد أثارت هذه الفعلة الشنيعة بالمسلمين وهم يؤدون صلاة العيد الأمر الذي جعل العمري يتحول إلى مجاهد وداعية إسلامي يستخدم السلاح للصد عن ديار الإسلام وحماية المسلمين الذين قتلوا أو أسروا في تلك الغارة المفاجئة⁽²⁴⁾.

سير العمري حملة علي البجة واستطاع أن ينزل أراضيهم ويقتل زعيمهم ومن ثم استقر في أرض البجة وكان العرب المقيمون في تلك النواحي قد اشتغلوا باستخراج الذهب وكانوا يشترتون الرقيق من النوبة أو من النوبيين الذين سبق أن وقعوا أسرى في يد المسلمين بمصر وصعيدها، وكان يؤخذ هؤلاء إلى أرض المعدن لاستخراج الذهب، فاشترى عدداً من هؤلاء الرقيق من أسوان، وقد ساعده في ذلك علمه الذي هياً له مكانة خاصة بين علماء أسوان من المسلمين وكبار رجالها الذين جارا هم في العلم وتعرف بهم. ولما كانت أرض البجة ملتقى لكل القبائل العربية كان الخلاف على أشده بين مضر وربيعة فتدخل العمري ونصب نفسه قاضياً لإزالة هذا الخلاف إلا أن ربيعة لم ترض بحكمه فحاربها وانتصر عليها⁽²⁵⁾.

غير أن بعض القبائل العربية القادمة من الشام مثل سعد العشيرة وقيس عيلان خرجت علي العمري، بعد أن حصلوا من النوبيين علي حق الإقامة الدائمة في منطقة مريس، فانهمزم العمري وانسحب بقواته شمالاً ومن ثم توسع شرقاً حتى عيذاب وشمالاً إلى أسوان، ويبدو أن العمري كان يهدف إلى إقامة إمارة إسلامية تحت زعامته في هذه المنطقة، بدليل أن ابن طولون شك في نوايا العمري نحوه وخشي أزياد نفوذه في هذه البلاد فيطمع في مصر. فأرسل ابن طولون جيشاً لمحاربة العمري بقيادة صباح بن حركام، غير أن العمري تغلب عليه وهزمه، ومن بعد ذلك قتل العمري علي يد أحد أفراد قبيلة مضر⁽²⁶⁾.

بعد هذه الأحداث في بلاد البجة استوطنت كثير من القبائل العربية في هذه المناطق وتصاهرت مع البجة ويشير المسعودي الذي زار مصر بعد حملة العمري بقرابة سبعين سنة فقط، يتحدث عن الأثر الواضح لهذه الجماعات العربية الإسلامية في نشر الثقافة الإسلامية في إقليم البجة وبلاد النوبة. ويبدو من رواية المسعودي أن الإسلام ظهر وانتشر بحضارته بعد أن سكن جماعة من المسلمين أرض البجة وتزوجوا ببنااتهم، فاشتد ساعد البجة على من ناوهم من النوبيين وغيرهم، كما اشتد ساعد ربيعة بالبجة على من خالفها من العرب، وتحالفت ربيعة مع البجة، وكان أميرهم زمن المسعودي أبا مروان بشر بن اسحق الذي بلغ عدد جيشه ثلاثة آلاف فارس من ربيعة وأحلافها من العرب وثلاثين ألف حراب على الإيل من الحداربة وهم المسلمون من سائر البجة⁽²⁷⁾.

والراجح أن جماعة من عرب ربيعة نجحوا في وضع أساس أول إمارة عربية إسلامية بالعلاقي بعدد أن استمالوا إليهم البجة وجماعات عربية من قبيلتي مضر وتميم فخضع لهم الجميع ويقول المقرئزي ((واستولوا علي معدن الذهب العلاقي فكثرت أموالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة واختطوا قرية تعرف بالنماس وحفروا بها آباراً⁽²⁸⁾) ويتحدث المسعودي عن وصول الإسلام جنوباً مصحوباً بحضارته إلى جزيرة سواكن حيث تسكن جماعة من البجة اعتنقت الإسلام وتعرف باسم الخاصة⁽²⁹⁾.

هكذا كانت الحملات العربية المتكررة علي أوطان البجة والنوبة فاتحة عهداً جديداً لانتشار الإسلام وحضارته في تلك البلاد، خاصة أن العرب المسلمين قد وضعوا الأصول الأولى للعلاقات مع بلاد النوبة وذلك بداية مع معاهدة البقط التي ظلت سارية لمدة ستة قرون، ثم اتفاقية ابن الجهم مع كنون بن عبدالعزيز وأخيراً حملة العمري التي كانت بمثابة فتح أبواب النوبة وأرض البجة علي مصراعيها أمام القبائل العربية الضاربة في مصر، بعد أن أصبح ولاتها من الأتراك منذ العصر الطولوني، إذ لم يكد تمضي سنوات قليلة حتى وفرت جماعات عربية معظمها من قبيلتي ربيعة وجهينة إلى أرض المعدن لتضم إلى ما سبققتها من القبائل العربية في أعقاب كل حملة من الحملات، ووضعت نواة أول إمارة عربية إسلامية بزعامة ربيعة عرفت فيما بعد باسم إمارة بني كرز بعد انتقال مركزها إلى أسوان في العصر الفاطمي، وهي مافشل فيه العمري من قبل⁽³⁰⁾.

إن هجرت القبائل العربية إلى بلاد البجة خلال هذه الحملات كان لها أثر حضاري عظيم، وذلك نتيجة للتصاهر والاندماج في أوساط المجتمع

البجاوي الأمر الذي أدى إلى إحداث تغيير في العادات والتقاليد والمعتقدات، فالإسلام وثقافته أصبح المعلم الواضح في بلاد البجة، والدماء العربية سادت في الساحل الغربي للبحر الأحمر . ومنه توغلت إلى بقية أجزاء السودان، لذلك ظهر عنصر عربي متفرد يحمل الصفات والملامح العربية الإفريقية .

دور القبائل العربية في إثراء الحضارة البجاوية :

تعتبر قبيلة بلي من أوائل القبائل العربية التي هاجرت إلى شرق السودان وهي قبيلة كثيرة العدد وافرة القوة، إذ انها استطاعت أن تثبت أقدامها في أجزاء كبيرة من الحجاز ثم سارت شمالاً إلى أراضي فلسطين حيث أقامت جماعات منها ثم انحدرت بعض هذه الجماعات وغيرها عبر سيناء جنوباً إلى شواطئ البحر الأحمر السودانية حيث كانت تسكن قبائل البجة، واختلطت بها شيئاً فشيئاً . ثم تتابعت أفواجها من الحجاز واليمن وعبرت البحر الأحمر عند باب المنذب ومن المراسي القريبة من جدة إلى الشواطئ السودانية حتي غطت جميع اقليم البجة من عيذاب شمالاً إلى مصوع ودهلك جنوباً حيث موطن القبائل البجاوية (31) .

أرخت قبائل البجة لهذه الهجرة باستعمال كلمة «بلويت وبلوييت» لهذه الأمة العربية التي نزلت في أراضيها . فالبلويت في لغة البجة هم البلويون الذين نزحوا إلى أراضيهم والبلوييت هي اللغة العربية التي كان يتكلم بها أبناء قبيلة بلي، وكانوا هم أول من تحدث باللغة العربية في إفريقيا (32) .

وعندما استقر البلويون في بلاد البجة أخذوا في مصاهرة زعماء البجة، وكان زعماء هذه القبيلة يتطلعون إلى نزع السيادة من البجة علي سائر شعوبهم وتقلد تلك الرئاسة وقد استغلوا ذلك النظام البجاوي الذي يجعل زعامة القبائل والممالك آنذاك في يد ابن البنت أو الأخت، ومن ثم فقد ورث أبناء زعماء بلي الذين كانت أمهاتهم من بنات زعماء البجة الملك والزعامات القبلية عن طريق هذا النظام (33) وبناء علي ذلك مالبث أن انتشر زعماء بلي الهجاء في سائر ممالك البجة وأطلق عليهم فيما بعد الحدارب ومفردها جذري وأصبح لهؤلاء الحدارب مكانة خاصة لدي البجة لانهم من عنصر عربي عظيم، ومن أمهات بجاويات أميرات من البيت المالك البجاوي وجمع هذا المعشر نخوة العربي وجسارة البجاوي . (34)

فرض البلويون سيطرتهم علي القبائل الناطقة باللغة الهندوية مثل الهندوة والأمرار والبشاريين فترة طويلة من الزمن إلى حيث هاجمهم عامر بن نابت الجعلي وانتصر عليهم وأسس دولة جديدة بزعامة قبائل بني عامر، أما اسم بني عامر فقد ورد سببان في إطلاق هذا الاسم علي هذه القبائل أما الأول

فهو أنهم عرفوا بهذا الاسم لأنهم من أبناء عامر بن كنو ويرجع أصلهم إلى اليمن . أما النفيّر الثاني فيرجع إلى عامر الجعلي الذي كان والده قد تزوج بابنه بانية ملك البلو الحاكم علي قبائل بني عامر⁽³⁵⁾ .

من بين القبائل العربية التي نزحت إلى السودان قبيلة هوازن العربية وكانت هذه القبيلة تسكن الحجاز ومن ثم عبرت البحر الأحمر إلى عيذاب في وقت مبكر من العصر الاسلامي ولم تتجه بعد ذلك إلى أسوان أو مصر كما فعلت كثير من القبائل العربية الأخرى في نهاية القرن الأول الهجري، بل أنها توغلت في أرض البجة من عيذاب إلى جهات سواكن التي لم يكن لها شأن يذكر آنذاك ثم سارت جنوباً بحزاء ساحل البحر الأحمر حتي وصلت مصوع ومن هناك إلى الحبشة⁽³⁶⁾ ولم يطب لها المقام فيها ثم عادت إلى أرض البجة وكانوا رجال هوازن يركبون الخيل ويحملون السياط ليجعلوا صيادهم تزيد من عدوها، ولان حمل السوط مع ركوب الصافنات يزيد من هيبة الفارس ويشعره بالخيلاء فاصبحت عادة ملازمه لفرسان القبيلة وكان الاحباش يسمون السوط «حلقنا» ومن ثم أطلقوا هذا الاسم على فرسان هوازن وشيئاً فشيئاً تلاشي اسم هوازن وحل محله «حلقنة» أو الحلقنا⁽³⁷⁾ .

سكنت قبيلة الحلقنة إقليم التاكا مع كل من بني عامر والهندودة واخذت في الأختلاط بهؤلاء البجة الذين كانوا يتكلمون باللغة التبادوية (الهندنوية) وعن طريق المصاهرة والتجارة والتعامل اليومي تلاشت اللغة العربية وأصبحت قبيلة الحلقنة تحتل موقع إحدى ممالك البجة الخمس وتعيش بأسلوبهم البجاوي⁽³⁸⁾ .

ومن بين القبائل العربية التي هاجرت إلى السودان، وأقامت في أراضيه منذ أن انتشر الإسلام في تلك الديار قبيلة باصغار الحضرمية وكانت هذه الأسرة الحضرمية فرعاً من آل أبي قشير، يسكنون في أسفل حضرموت ثم هاجروا إلى بلاد البجة وبدأوا في مصاهرة زعماء البجة حتي يأمنوا علي انفسهم وأموالهم وأخذوا يمارسون تجارتهم بهمه ونشاط فلما استقر بهم المقام في سواكن وما حولها أظهروا شمائلهم التي عرفوا بها والتي كانت تتمثل في الصدق والأمانة وحسن المعاملة بالإضافة إلى الابتعاد عن كل ما يمكن أن يسيء اليهم من قريب أو بعيد الأمر الذي أدى إلى احترامهم وتقديرهم من قبل البجة حيث أطلقوا عليهم لفظة «أرتيقة» وهي كلمة تحمل معني الزعامة والنبيل والشرف والسيادة كما أنها كلمة لا تطلق إلا علي أبناء هذه القبيلة، ومن ثم فقد أصبح كل الحضارم من آل صغار «أرتيقة»⁽³⁹⁾ .

وعن الأرتيقة يقول محمد صالح ضرار «الأرتيقة» هي القبيلة الوحيدة

الموفقة في الصلح بين المتخاصمين في شرق السودان ... وهم مستعدون لبذل أموالهم في سبيل إرضاء المتخاصمين، ولو كانوا من قبيلتين مختلفتين، ويعترف لهم كل من له معرفة أو المهام بعادات أهل هذا الاقليم وأصعب المشكلات والقضايا هي تقدير لجروح ... وأن الأرتيقة نعم الاصدقاء في الشدائد والملمات لا يتوانون بذل توالهم ودمائهم في سبيل إنقاذ صديقهم بهما كلفيهم الأمر ... وكل مدينة صغيرة وكبيرة يتخذونها محلاً لإقامتهم يصاهرون رئيسها ولذلك نجدهم يأمنون جانب الخصوم والأعداء .⁽⁴⁰⁾

يتضح مما سبق ذكره أن قبيلة الأرتيقة عاشت في بلاد البجة بكل أريحية وانسجام مع المجتمع البجاوي حيث أخذت معها كل تراثها وحضارتها ونشرته في بلاد البجة الأمر الذي جعل سكان بلاد البجة ينظرون إليها نظرة تقدير وأحترام لذلك كان أثرهم علي عظيم علي القبائل البجاوية في كل مناحي الحياة .

خاتمة

يتضح مما سبق أن العلاقة بين العرب وبلاد البجة أفرزت عدة نتائج أبرزها وأهمها :

أولاً : أن الغرب الجغرافي كان له أثر واضح في الهجرات العربية إلى بلاد

البجة وذلك منذ أزمان بعيدة، هذه الهجرات زادت في صدر الإسلام بصورة كبيرة وذلك لأن الإسلام يدعو إلى الانفتاح علي الشعوب إضافة إلى أن الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان .

ثانياً : أن العرب استهدفوا بلاد البجة بعدة طرق ومعايير أهمها طريق

مصر، هذا الطريق دخلت عن طريه كثير من القبائل العربية في شكل هجرات بأغراض متعددة إضافة إلى ذلك دخلت به قبائل مصاحبة للحملات المتجهة إلى بلاد البجة ومن أشهرها حملة العمري والتي كان لها أثر حضاري عظيم في بلاد البجة .

أن القبائل العربية التي هاجرت إلى بلاد البجة تركت أثراً حضارياً في جميع مناحي الحياة إضافة إلى ذلك تأثرت هي نفسها بحضارة القبائل البجاوية وأفرزت عنصراً بشرياً مختلفاً كان له إسهاماً واضحاً في المجتمع .

رابعاً : لعبت القبائل العربية دوراً فعالاً في نشر الإسلام وثقافته في أرض البجة وذلك نتيجة للامتزاج والتصاهر الذي تم بين القبائل العربية المهاجرة والسكان المحليين من البجة .

خامساً : تعتبر الاتفاقية التي أبرمت بين عبدالله بن الجهم وملك البجة كنون بن عبدالعزيز حافزاً قوياً جداً لهجرة القبائل العربية المسلمة لأرض البجة، وذلك لأن الاتفاقية تحفظ حقوق المسلمين وغير المسلمين، وتلزم البجة بحسن التعامل مع المهاجرين، لذلك دخلت أرض البجة أعداداً كبيرة من القبائل العربية واستقرت فيها.

توصي الدراسة بإلقاء الضوء على بلاد البجة وخاصة النواحي الحضارية لأنها في غاية الأهمية وذلك لأن بلاد البجة على وجه العموم محط أنظار كل من قدم عليها قديماً أو حديثاً، وعرف إمكاناتها الاقتصادية المتمثلة في المعادن الثمينة في داخل الأرض وخارجها، كذلك تعتبر بلاد البجة زاخرة بالتراث البشري الذي يحتاج للبحث والتنقيب وإخراجه للناس بثوب قشيب.

المصادر والمراجع

- (1) محمد عوض محمد، السودان الشمالي، سكانه وقبائله، مصر 1951م ص 23.
- (2) الادريسي محمد بن محمد، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ط ليدن 1864م ص 26.
- (3) محمود محمد علي، أسوان في العصور الوسطى، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة ص 40.
- (4) المقرئزي تقي الدين احمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج1 بولاق 1270م ص 194.
- (5) ابن جبير أبو الحسن محمد، تذكرة بالآخبار عن اتفاقات الاسفار، ليدن 1907م ص 69، بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ج4، جامعة القاهرة ورقة 181 أ.
- (6) محمد عوض محمد، السودان الشمالي ص 22.
- (7) المسعودي أبو الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ج1 القاهرة 1905م ص 447.
- (8) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، الاسلام والعروبة في السودان ، القاهرة العربي للنشر 1986م ص 15.
- (9) المرجع نفسه ص 19.
- (10) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان الرياض ، مكتبة النوبة 2001م ص 62 .
- (11) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ص 17 - 18 .
- (12) الواقدي، فتوح مصر والاسكندرية، القاهرة، ص 27.
- (13) ابن عبدالحكم ابوالقاسم عبدالرحمن القرشي، كتاب فتوح مصر وأخبارها، ليدن 1920 م ص 189 .
- (14) ابن حوقل ابوالقاسم بن حوقل، كتاب صورة الارض، نشر كرامز، ليدن 1938م ص 56.
- (15) مصطفى محمد مسعد، البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة آداب القاهرة 1973م ص 24.
- (16) ابن عبدالحكم، مصدر سابق ص 189 .
- (17) المقرئزي، الخطط ج1 ص 195 - 196.

- (18) المصدر نفسه ج1 ص 195.
- (19) المصدر نفسه والجزء والصفحة، ومصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة 2011م ص 119 - 120 .
- (20) ابن تغري بردي أبوالمحسن يوسف، النجوم الزاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة ج2، القاهرة 1930م ص 297 - 298.
- (21) المصدر نفسه والجزء ص 297 - 298 .
- (22) مصطفى محمد مسعد، مرجع سابق ص 123.
- (23) ضرار صالح ضرار، مرجع سابق ص 118.
- (24) عبدالفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق ص 120 - 121.
- (25) ضرار صالح ضرار ، المرجع السابق ص 119 - 120.
- (26) المقرئزي، المفقى مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم 5372، ص 166 - 168.
- (27) مصطفى محمد مسعد، مرجع سابق ص 126 .
- (28) المقرئزي، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، مصر 1916م ص 48.
- (29) المقرئزي، الخطط ج1 ص 197 ، نقلاً من المسعودي .
- (30) المقرئزي، البيان والاعراب بأرض مصر من الاعراب ص 45، 56.
- (31)(31) ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل، ص 279 - 280 .
- (32) المرجع نفسه، ص 280.
- (33) مصطفى محمد مسعد، مرجع سابق ص 114.
- (34) ضرار صالح ضرار، مرجع سابق ص 280 - 281 .
- (35) المرجع نفسه ص 294.
- (36) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة ص 114 - 115 .
- (37) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق ص 571.
- (38) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة ص 120 .
- (39) ضرار صالح ضرار، المرجع السابق ص 577.
- (40) المرجع نفسه ص 578 - 579.